**المحاضرة الرمضانية الثانية عشر للسيد عبدالملك بدرالدين الحوثي 1441هـ 05-05-2020**

**أُعُـوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ**

بِـسْـــمِ اللهِ الرَّحْـمَـنِ الرَّحِـيْـمِ

**الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَـدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّــداً عبدُهُ ورَسُــوْلُه خاتمُ النبيين.**

**اللّهم صَلِّ على مُحَمَّــدٍ وعلى آلِ مُحَمَّــد، وبارِكْ على مُحَمَّــدٍ وعلى آلِ مُحَمَّــد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.**

**أيُّها الإخوة والأخوات:**

**السَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛**

**وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.**

**اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.**

نتحدث في محاضرة اليوم حول موضوعٍ مهم من أهم المواضيع على الإطلاق، وهو موضوع الظلم، الظلم يعتبر من الجرائم الخطيرة **جدًّا** على الإنسان، ومن المعاصي والذنوب الكبيرة التي تحبط بها الأعمال، والتي عليها وعيدٌ شديدٌ من الله -سبحانه وتعالى- في الدنيا والآخرة.

والحديث عن الظلم يشمل دائرةً واسعة، هذه الدائرة يدخل فيها: الظلم للنفس، الظلم في المعاملة، الظلم في المسؤولية ومن موقع المسؤولية، المظالم العامة والكبرى، ويدخل فيها أيضاً الظلم بالإضلال للناس والافتراء على الله -سبحانه وتعالى-.

والحديث عن هذا الموضوع مهم، والانتباه لهذا الموضوع مهم، أولاً: للإنسان نفسه؛ لكي يحذر من الظلم، لكي يحذر من التورط في هذه المعصية الكبيرة، وفي هذا الذنب العظيم، ولكي يتوب إلى الله وينيب، ويرجع إلى الله، ويتخلص من أي ظلمٍ أو مظلمة، ثم أيضاً مهمٌ لنا؛ لكي نعرف مسؤولياتنا وواجباتنا في التصدي للظلم، وفي العمل على إقامة العدل، وفي العمل على منع الظلم؛ لأن هناك مسؤوليات إن لم نقم بها، نكون قد شاركنا فيما يقع من ظلمٍ والعياذ بالله.

عندما نتحدث عن هذا الموضوع سيتسع الحديث ليدخل إلى بعضٍ من التفاصيل تحت تلك العناوين التي أشرنا إليها: الظلم للنفس، الظلم في المعاملة، الظلم في المسؤولية ومن موقع المسؤولية، المظالم الكبرى والعامة، ثم الظلم كذلك بالإضلال والافتراء على الله -سبحانه وتعالى-، وسنتحدث عن ذلك بالتأكيد في أكثر من محاضرة.

اليوم نتحدث عن العناوين الرئيسية والمداخل الرئيسية لهذا الموضوع، وأول ما نتحدث عنه في ذلك هو أنَّ الله -سبحانه وتعالى- وهو رب العالمين، وهو رب هذا الخلق بكله، وهو رب هذا الكون بأجمعه، وهو الخالق والفاطر -جلَّ شأنه- للسماوات والأرض، هو القائم بالقسط في خلقه، وفعله، وتدبيره، وتشريعه، وفي جزائه أيضاً، هو القائم بالقسط، الذي لا يريد الظلم، ولا يرضى بالظلم، ولا يقبل بالظلم، ويعاقب على الظلم، وهو -سبحانه وتعالى- القائل في كتابه الكريم: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}[آل عمران: من الآية18]، الشهادة بوحدانيته، أنه الإله الواحد لا إله إلا هو، {وَالْمَلَائِكَةُ}[آل عمران: من الآية18]، يعني: أيضاً شهدوا بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، {وَأُولُو الْعِلْمِ}[آل عمران: من الآية18]، يعني: وهم كذلك شهدوا عن عملٍ وبصيرةٍ ويقين أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، {وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ}[آل عمران: من الآية18]، فمع أنه الإله الواحد -جلَّ شأنه-، فهو أيضاً القائم بالقسط في خلقه، في تدبيره، في تشريعه، في الجزاء، هو القائم بالقسط في عباده، {قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[آل عمران: من الآية18].

هو أيضاً القائل -جلَّ شأنه- في كتابه الكريم عن جزائه: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}[آل عمران: الآية182]، فهو -جلَّ شأنه- بريءٌ من الظلم، و{لَيْسَ بِظَلَّامٍ}: لا يمارس الظلم في فعله، ولا في تدبيره، ولا في تشريعه، هو -جلَّ شأنه- القائل أيضاً في جزاء الإنسان: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}[فصلت: الآية46]، هو -جلَّ شأنه- القائل: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ}[النساء: من الآية40]، ولا حتى بهذا المقدار: ولا بمقدار مثقال ذرة، فهو في جزائه في عباده يوفيهم بالعدل وبالقسط، {وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}[النساء: من الآية40].

هو أيضاً لا يريد لعباده الظلم، ولا يريد لهم أن يُظْلَموا، ولا يريد منهم أن يظلِموا بعضهم بعضاً، ولهذا هو -جلَّ شأنه- القائل: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ}[غافر: من الآية31]، {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ}[آل عمران: من الآية108]، فهو لا يريده؛ وبالتالي في هذا العالم وفي واقعنا نحن البشر، واقعنا الممتلئ بالظلم، الدنيا اليوم مُلئت ظلماً وجوراً، وأكثر ما تعاني منه البشرية هو الظلم، وأصبح الظلم هو من أكبر المشاكل التي تعاني منها المجتمعات البشرية في شتى الأقطار وفي معظم البلدان، فعندما نعرف أنَّ الله -سبحانه وتعالى- في تشريعه وفي تدبيره لا يريد الظلم، ولا يقبل بالظلم، نأتي إلى ما هناك من إجراءات من قبل الله -سبحانه وتعالى- تجاه هذا الموضوع:

أولاً: نجد في القرآن الكريم الوعيد الشديد على الظلم، الله حرَّم الظلم، وتوعَّد عليه بالوعيد الشديد، وبالعقوبات الشديدة، وبالعذاب الشديد على مستوى الآخرة، وعلى مستوى الدنيا، نجد في الوعيد قول الله -سبحانه وتعالى- في القرآن الكريم: {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}[هود: من الآية18]، نعوذ بالله، نعوذ بالله، اللعنة من الله -سبحانه وتعالى- هي الطرد من رحمته، الإنسان إذا طُرد من رحمة الله -سبحانه وتعالى-، معناه: أصبح إنساناً شريراً مخذولاً، لا يحظى من الله بأي رحمة، بأي توفيق، بأي هداية، ويستوجب عذاب الله -سبحانه وتعالى-، ويكون تدبير الله له في هذه الدنيا في ما يدبره بشأنه، وما يعده له في الآخرة، هو ما فيه هلاكه، ما فيه شقاؤه، ما فيه عذابه.

لاحظوا على سبيل المثال الشيطان إبليس عندما لعنه الله -سبحانه وتعالى-، عندما طرده من السماء ولعنه، قطع عنه رحمته، فلا يتوفق أبداً، لا يهتدي أبداً، لا يصلح أبداً، يتمادى في جرمه، في طغيانه، في فساده، في ضلاله، يزداد ضلالاً، يزداد شقاءً، يزداد خسراناً، يتحمل المزيد والمزيد من الأوزار، فاللعنة من الله قضية خطيرة **جدًّا** على الإنسان، الإنسان إذا لُعِن من الله، معناه: طرد من ساحة الرحمة الإلهية، معناه: خرج من ألطاف الله وتوفيقه وهدايته إلى دائرة السخط الإلهي، والعقوبة الإلهية، وهذه حالة خطيرة **جدًّا**، يجب أن يحذر منها الإنسان **جدًّا**، فمن نتائج الظلم، الإنسان إذا ظلم، وأصر على ظلمه، وتمادى في ظلمه، لم يخرج مما هو فيه من مظلمة، وينيب إلى الله -سبحانه وتعالى-، ويتخلص من المظالم، فالقضية خطيرة **جدًّا**، يدخل في إطار هذه اللعنة من الله -سبحانه وتعالى- بكل ما يترتب عليها من نتائج رهيبة **جدًّا** في الدنيا، وعذاب عظيم في الآخرة.

الله -جلَّ شأنه- يقول في القرآن الكريم: {إِنَّا}: الله -جلَّ شأنه-، عظيم الشأن، بقدرته، بجبروته، بقوته، بعزته، بانتقامه، {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا}[الكهف: من الآية29]، السجن الأبدي الذي سينقل إليه كل الظالمين، ثم لا يخرجون منه أبداً، النار، نار جهنم والعياذ بالله، حيث سيسجنهم الله فيها للأبد، سجناً مؤبَّداً، ليس له نهاية، مليارات السنين قليلةٌ في الحساب، {أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا}، لا يمكنهم أن يتخلصوا أبداً، قد أحيط بهم بالسرادق، سرادق: يشمل أشياء كثيرة في نار جهنم، يشمل أسوار جهنم، يشمل كذلك جدران قد تكون أو أماكن ضيقة في جهنم، توابيت في جهنم... أشياء كثيرة يدخلون إليها في جهنم ثم لا يتخلصون منها والعياذ بالله، {أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا}، يعني: لا خلاص لهم منها، لا فرار لهم منها، لا ملاذ لهم منها، لا مناص لهم، لا إمكانية للهروب منها أبداً.

يقول الله -جلَّ شأنه-: {إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[إبراهيم: من الآية22]، وعيدٌ قاطع وواضح وصريح بعذاب الله الأليم **جدًّا**، يقول الله -جلَّ شأنه- في القرآن الكريم عن يوم القيامة في ساحة الحساب: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}[غافر: الآية52]، لا تنفعهم التبريرات والأعذار والتلفيقات التي يحاولون أن يبرروا بها الظلم الذي ارتكبوه، لا ينفعهم ذلك أبداً، {وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ}: فطردوا من رحمة الله نهائياً، ولا يحظون بذرةٍ من رحمة الله -سبحانه وتعالى-، {وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}: وهو جهنم والعياذ بالله.

يقول الله -جلَّ شأنه-: {تَرَى الظَّالِمِينَ}[الشورى: من الآية22]، يعني: في يوم القيامة وهم في وضعية رهيبة **جدًّا**، وقد جيء بجهنم، وسينتقلون إليها، {مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا}[الشورى: من الآية22]، أدركوا عظيم وزرهم، وكبير جرمهم، وشناعة أعمالهم، فأصبحوا في حالة من الخوف والذعر الشديد، {مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا}؛ لأنهم أدركوا ما هي النتائج الحتمية التي سيذهبون إليها، {وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ}[الشورى: من الآية22]، لا يستطيعون دفعه، ولا التخلص منه أبداً، من كان منهم يحتمي بالجيوش لا تنفعه جيوشه، من كان منهم يحتمي بالمال لا ينفعه ماله، من كان منهم يستند إلى سطوته وجبروته وقوته، تلاشى ذلك، من كان منهم في الدنيا يستند إلى ضعف من يظلمه، فهناك لا يمكنه أن يستند إلى ضعف ذلك؛ لأنه أصبح هو في دائرة الضعف والعجز والاستسلام التام.

يقول الله -سبحانه وتعالى-: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}[إبراهيم: الآية42]، قد يستغرب الإنسان ويتساءل أمام كثيرٍ من المظالم، عندما يرى الطغاة، عندما يرى الظالمين المستكبرين المجرمين وهم يرتكبون أبشع الجرائم، وأكبر المظالم، فيتعجب كيف لا يعاجلهم الله بعقوبة نهائية، وضربة قاضية، الله ليس غافلاً عن أعمالهم، وتصرفاتهم، وظلمهم، وجرائمهم، {إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}، الله -سبحانه وتعالى- يجعل جزءاً من العقوبات في الدنيا، لكنَّ الجزاء الكبير، والكبير الحقيقي، والجزاء الوافي هو في الآخرة، {يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ}، يعني: ليوم القيامة، ليومٍ عظيم، ليومٍ رهيب، {تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}، أولئك الذين كانوا في الدنيا يفتحون أعينهم، على حسب التعبير المحلي [يبهررون] على عباد الله بكل كبر وغطرسة، في ذلك اليوم أبصارهم شاخصة، وهم في حالة من الرعب الشديد، والخوف العظيم، {مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ}[إبراهيم: من الآية43]، فهم في حالة من الذل، قد مدوا أعناقهم ورفعوا رؤوسهم، أعناقهم منحنية، ورؤوسهم مرتفعة هكذا في حالة من الذل والرهبة الشديدة **جدًّا**، {لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ}[إبراهيم: من الآية43]، من شدة الخوف والرعب، طرف العين لا يرتد، لا يتحرك، لا يرجع، في حالة منبهرين، وخائفين، ومفجوعين، ومرعوبين، وفي حالة من الإذلال الشديد **جدًّا**، انتقاماً منهم كما ظلموا وطغوا وتكبروا في هذه الدنيا، {وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ}[إبراهيم: من الآية43]، أفئدتهم: واقعهم الداخلي في نفوسهم، في قلوبهم فراغ، ليس عندهم ذرة من الروح المعنوية، ولا من الاطمئنان أبداً، خوف شديد **جدًّا** هم فيه، {وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ}[إبراهيم: الآية44]، الكثير من الظالمين يصل بهم الطغيان والكبر إلى أن يطمئنوا اطمئناناً تاماً في هذه الحياة، وكأنه لا حساب ولا عقاب ولا جزاء، وكأنهم سيفعلون كل ما يفعلون من دون أن يدفعوا ثمن ذلك، من دون أن يعاقبوا على ذلك، {وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ}[إبراهيم: الآية45]، في الدنيا هناك الكثير من العبر عمَّن ظلموا، عمَّن طغوا، وعمَّن تكبروا، وكيف عاقبهم الله في هذه الدنيا؛ ثم انتهت سطوتهم، انتهت حياتهم، انتهت إمكاناتهم، تلاشت قوتهم، فلماذا لا تؤخذ العبرة من ذلك: ممن يطغى، ممن يظلم، ممن يتكبر.

يقول الله -سبحانه وتعالى- عن يقوم القيامة أيضاً: {وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[الزمر: الآية47]، هذا يبين على مستوى الخوف الشديد **جدًّا**، وعلى سوء الحساب، وشدة العذاب الرهيب **جدًّا**، لدرجة أنه لو كان للظالم ما في الأرض، ونحن عندما نتخيل- على سبيل التخيل حتى- كم في الأرض من إمكانات... من أشياء يطمع فيها الناس، كل ما في الأرض من ممتلكات، كل ما في الأرض من أموال، كل ما في الأرض من مُدَّخرات ونفائس وأشياء غالية لدى الإنسان، مهمة لدى الإنسان، ليس هذا فحسب، بل {وَمِثْلَهُ مَعَهُ} ويكون أيضاً مثله معه يضاف إليه، {لَافْتَدَوْا بِهِ} لقدموه فديةً لو أمكن أن يفتدوا به، {مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} لأنه عذابٌ شديد **جدًّا**، عذاب رهيب **جدًّا**، وللأسف الكثير من الناس قد يظلم من أجل شيء تافه، شيء تافه، أنت في يوم القيامة لو أمكنك أن تفتدي بكل ما في الأرض جميعاً وبمثله معه لافتديت به؛ فكيف تظلم من أجل شيءٍ تافه تحصل عليه من هذه الدنيا، وأكثر المظالم، نسبة كبيرة **جدًّا** من المظالم تكون- وهي وراء سعي الإنسان- تكون نتاجاً لسعي الإنسان للحصول على شيء من هذه الدنيا، الذي يذهب في صف الطغاة والظالمين والمجرمين، يقاتل معهم ويناصرهم؛ من أجل أن يحصل على شيء معين، كم انطلق في صف العدوان، كم التحق بالسعودي والإماراتي من أجل الحصول على قليلٍ تافهٍ من المال؟ ثم كم حصل من ظلم نتيجة ذلك؟

كثيرٌ من الناس من موقعه في المسؤولية قد يظلم؛ من أجل أن يحصل على شيءٍ من الدنيا، كثيرٌ من الناس في معاملاته قد يظلم؛ من أجل أن يحصل على شيءٍ من الدنيا، قد يظلم البعض حتى قريبه؛ من أجل أن يحصل على شيءٍ من هذه الدنيا.

يوم القيامة لو كان للإنسان ما في الأرض بكله ومثله معه لافتدى به، {وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ}[الزمر: الآية47]،  ظهر لهم من عذاب الله وبأسه وجبروته ما لم يكونوا يتوقعونه، ما لم يكن في حساباتهم، ولا في تقديراتهم، أمور رهيبة **جدًّا**.

فهذا الوعيد في الآخرة: جهنم العذاب الشديد، العذاب الدائم، أمر رهيب **جدًّا**، هذه الحسرة، هذا الذل، هذا الندم، هذا الخوف للظالمين في يوم القيامة، الاحتراق الدائم في نار جهنم، الإذلال الدائم في النار والعياذ بالله! السجن في جهنم والعياذ بالله! أمر رهيب **جدًّا** يستدعي من الإنسان أن يكون حذراً؛ حتى لا يكون ظالماً، ولا يكون مساهماً في ظلم عباد الله.

الله -سبحانه وتعالى- أيضاً ذكر لنا في القرآن الكريم كيف أهلك الكثير من الأمم والقرى نتيجةً لظلمهم، ذكر لنا في القرآن الكريم عن قوم نوح، عن ثمود، عن عاد قبل ثمود... عن أقوام متعددة، وكيف أهلكهم، تحدث لنا في القرآن الكريم عن قرى، عن أمم على وجه الإجمال كيف هلكت، قال عن قوم نوح: {فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}[العنكبوت: من الآية14]، قال عن فرعون وقوم فرعون: {وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ}[الأنفال: من الآية54]، قال -جلَّ شأنه-: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً}[الأنبياء: من الآية11]، هذا **(وَكَمْ)** يفيد التكثير، يعني: كثيراً من القرى حصل لها ذلك، أهلكها الله -سبحانه وتعالى-، وعاجلها بالعقوبة في الدنيا بأنواعٍ من العقوبات المدمرة، عقوبات رهيبة **جدًّا**.

{وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ} فيما تفيده مفردة **(قَصَمْنَا)** من ضربة قاضية وعذاب مهلك ومدمر، {كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (11) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (12) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ}[الأنبياء: 11-13]، عودوا إلى حياتكم السابقة، عودوا إلى ما كنتم فيه من الترف، عودوا إلى ما كنتم عليه من الانشغال بمتعة هذه الحياة، مع ما كنتم عليه من ظلم، {لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (13) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (14) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ}[الأنبياء: 13-15]، لم ينفعهم، أحسوا، شعروا، {قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ}، لكن هذا لم يفدهم أبداً، بل استمر الهلاك والعذاب حتى النهاية لهم، حتى انتهوا، حتى جعلناهم حصيداً خامدين.

لماذا يذكر الله -سبحانه وتعالى- هذا لنا؟ ليذكرنا بأن هذا يمكن أن يحصل، ليس هذا فقط للماضين من البشر؛ وإنما أيضاً لمن بعدهم، تحصل أن تنزل عقوبات إلهية، عقوبات من الله، عقوبات جماعية أحياناً، إذا أصبح الواقع في مجتمعاً معيناً واقعاً منحرفاً، واقعاً فاسداً، واقعاً يسوده الظلم والانحراف، يمكن أن تأتيه- بل لا شك- أن تأتيه العقوبات الإلهية في الدنيا.

يقول الله -جلَّ شأنه-: {فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ}[الحج: الآية45]، تجد كثيراً من القرى التي قد انتهت الحياة فيها، بقيت آثارها، بقيت فيها الأطلال، بقيت خاويةً على عروشها، البئر معطلة، بعض قصر مشيد، ولكن ليس فيه من سكان، آثار فقط، أين هم؟ انتهوا، هلكوا، رحلوا، عوقبوا، فهذا على مستوى الوعيد والتحذير، التحذير لبقية المجتمعات البشرية.

يأتي أيضاً ضمن الوعيد الإلهي الوعيد على الظلم في القضايا التفصيلية: جرائم معينة، مظالم معينة، مثلاً القتل ظلماً عليه وعيدٌ في القرآن الكريم بالنار، أخذ مال الحرام، ونهب حق الناس بغير حق، عليه وعيدٌ بالنار، جرائم كثيرة عليها وعيدٌ بالنار في القرآن الكريم، سنأتي- إن شاء الله- إلى الحديث عن ذلك على نحوٍ أكثر تفصيلاً.

في القرآن الكريم وفي دين الله -سبحانه وتعالى- بشكلٍ عام، حتى مع الأنبياء السابقين، شرع الله عقوبات، عقوبات على الظلم، عقوبات في الدنيا، عقوبات تنفذ ضد الظالمين، عقوبات مثلاً على القتل ظلماً، على السرقة، على النهب، على الربا... على أشياء كثيرة عليها عقوبات تنفذ، أيضاً في التشريعات والتعليمات الإلهية ما يشرّع لنا وما يقدم ضمن أهم مسؤولياتنا: العمل على منع الظلم، والعمل على إقامة العدل، وإقامة العدل هي من المسؤوليات المهمة في الدين الإلهي، من أهم المسؤوليات أن يعمل المؤمنون على إقامة العدل، وأن يعملوا على منع الظلم، وأن يحاربوا الطغاة والظالمين، وأن يعملوا على منع ظلمهم، والتصدي لظلمهم، وتشريعات من الله -سبحانه وتعالى- تساعد عباده على بناء واقعهم وإصلاحه؛ حتى يكون واقعاً منيعاً، عصياً على الظلم والظالمين، واقعاً تنطلق فيه الأمة في القيام بمسؤولياتها لدفع الظلم، ولكن من واقع القوة، تشريعات وتعليمات تبني الأمة لتكون أمةً قوية، تقدر على دفع الظلم، فاعلة في التصدي للظلم، ومقتدرة- مع التأييد الإلهي- على معاقبة الظالمين والطغاة، والتخلص من ظلمهم، ومنع ظلمهم.

ولهذا يقول الله -سبحانه وتعالى- في القرآن الكريم: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[النحل: الآية90]، يقول -سبحانه وتعالى-: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}[النساء: من الآية58]، يقول الله -سبحانه وتعالى-: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا}[الأنعام: من الآية152]، حتى في القول، في الكلام، {وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى}.

يقول الله -سبحانه وتعالى- في القرآن الكريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ}، وهذه الآية المهمة، الآية القرآنية العظيمة هي تأمر بهذا الأمر الإلهي المهم: تأمر المؤمنين أن يكونوا **(قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ)**، بما تفيده مفردة **(قَوَّامِينَ)** من عملٍ مستمر، وسعيٍ مستمر، وبرنامج متكامل لإقامة القسط، لإقامة القسط في الحياة، {شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ}، يكون الإنسان مستعداً أن ينصف من نفسه، حريصاً على أن ينصف من نفسه، {أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ}، لا تحابي قريبك، لا تساعده على الظلم، اسع لإقامة العدل حتى ولو كان على نفسك أو أبيك أو قريبك، {وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا}، فلا الغني يجامل لغناه، ولا الفقير يجامل لفقره، العدل على الجميع، {فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}[النساء: الآية135].

فنجد على نحوٍ عام تركيز كبير على مسألة العدل، والسعي لإقامة العدل، والحذر من الظلم، والنظرة إلى الظلم كجرم خطير **جدًّا** يحذر الإنسان من ممارسته، ويسعى ضمن عباد الله المؤمنين كمسؤولية جماعية، يتعاون فيها المؤمنون لإقامة القسط، ومنع الظلم، والتصدي للظلم.

هذا على نحوٍ عام نفتتح به- إن شاء الله- المحاضرات القادمة في هذا الموضوع، لندخل- إن شاء الله- إلى بقية المواضيع، إلى ما تشمله هذه الدائرة على نحوٍ تفصيليٍ، وعلى ضوء بعضٍ من الآيات القرآنية المباركة.

نكتفي بهذا المقدار...

**ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفِّقنا وإيَّاكم لنكون من عباده القائمين بالقسط، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.**

**والسَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛**